

تفسير ابن كثير

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

وهذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أي : تولوا عما جئتهم به من الشريعة

العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة ، (فقل حسبي الله) أي : الله كافي ، لا إله إلا هو

عليه توكلت ، كما قال تعالى : (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) [

المزمل : 9] . (وهو رب العرش العظيم) أي : هو مالك كل شيء وخالقه ، لأنه رب

العرش العظيم ، الذي هو ، سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السماوات والأرضين

وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله تعالى ، وعلمه محيط بكل شيء ،

وقدره نافذ في كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل . قال عبد الله بن الإمام أحمد :

حدثني محمد بن أبي بكر ، حدثنا بشر بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن

يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، عن أبي بن كعب قال : آخر آية

نزلت من القرآن هذه الآية : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخر السورة . وقال

عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا روح بن عبد المؤمن ، حدثنا عمر بن شقيق ، حدثنا

أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، رضي الله عنه ، أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر ، رضي الله عنه ، فكان رجال يكتبون ويملئ عليهم أبي بن كعب ، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة (براءة) : (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) [التوبة : 127] ، فظنوا أن هذا آخر ما أنزل من القرآن . فقال لهم أبي بن كعب : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقراني بعدها آيتين : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) إلى : (وهو رب العرش العظيم) قال : " هذا آخر ما أنزل من القرآن " قال : فختم بما فتح به ، بالله الذي لا إله إلا هو ، وهو قول الله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الأنبياء : 25] غريب أيضا . وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، رضي الله عنه ، قال : أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر (براءة) : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى عمر بن الخطاب ، فقال : من معك على هذا ؟ قال : لا أدري ، والله إني

لأشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيتها وحفظتها . فقال عمر : وأنا
أشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم قال : لو كانت ثلاث آيات
لجعلتها سورة على حدة ، فانظروا سورة من القرآن ، فضعوها فيها . فضعوها في آخر (
براءة) . وقد تقدم أن عمر بن الخطاب هو الذي أشار على أبي بكر الصديق ، رضي الله
عنهما ، بجمع القرآن ، فأمر زيد بن ثابت فجمعه . وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون ذلك
 . وفي الصحيح أن زيدا قال : فوجدت آخر سورة " براءة " مع خزيمة بن ثابت - أو : أبي
خزيمة وقدمنا أن جماعة من الصحابة تذكروا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
كما قال خزيمة بن ثابت حين ابتدأهم بها ، والله أعلم . وقد روى أبو داود ، عن يزيد بن
محمد ، عن عبد الرزاق بن عمر - وقال : كان من ثقات المسلمين من المتعبدین ، عن
مدرك بن سعد - قال يزيد : شيخ ثقة - عن يونس بن ميسرة ، عن أم الدرداء ، عن أبي
الدرداء قال : من قال إذا أصبح وإذا أمسى : حسبي الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت ،
وهو رب العرش العظيم ، سبع مرات ، إلا كفاه الله ما أهمه . وقد رواه ابن عساكر في
ترجمة " عبد الرزاق بن عمر " هذا ، من رواية أبي زرعة الدمشقي ، عنه ، عن أبي سعد

مدرك بن أبي سعد الفزاري ، عن يونس بن ميسرة بن حليس ، عن أم الدرداء ، سمعت
أبا الدرداء يقول : ما من عبد يقول : حسبي الله ، لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب
العرش العظيم ، سبع مرات ، صادقاً كان بها أو كاذباً ، إلا كفاه الله ما همه . وهذه
زيادة غريبة . ثم رواه في ترجمة عبد الرزاق أبي محمد ، عن أحمد بن عبد الله بن عبد
الرزاق ، عن جده عبد الرزاق بن عمر ، بسنده فرفعه فذكر مثله بالزيادة . وهذا منكر ،
والله أعلم . آخر سورة (براءة) ، والحمد لله وحده .